التـــعريف بالصـــحيفة الســـجادية وأهمـيتـها

عادل عبدالنبي ضايف

أ. د. شكري ناصر عبدالحسن

جامعة البصرة /كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

المستخلص:

تعدُّ الصحيفة السجادية المباركة ، من تراث اهل البيت (عليهم السلام) ، بعد القرآن الكريم ، ونهج البلاغة ، وهي موسوعة تشتمل على اهم النصوص التي تمس حياة الانسانية في مختلف مناحيها ، العقدية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، اذ ضمَّن فيها الامام علي بن الحسين (عليه السلام) ، كل ما من شأنه الارتقاء بالحياة العامة للإنسان والوصول بصاحبها الى النجاة ، والطريق القويم ، كما وتناول الامام (عليه السلام) ، اشارات تاريخية من حياة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فضلاً عن المحنة التي مرت بها الدعوة الاسلامية .

الكلمات المفتاحية: القران الكريم, الصحيفة السجادية, الامام علي بن الحسين, الارتقاء بالحياة, الطريق القويم.

Overview of the Sahifa al-Sajjadiyya and Its Significance

Adel Abdel Nabi Daif

Prof. Dr. Shukry Nasser Abdul Hassan

University of Basrah, College of Education for Human Sciences, Dept. of History

Abstract

The esteemed Sahifa al-Sajjadiyya is regarded as one of the legacies of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), following the Holy Qur'an and Nahj al-Balagha. It is an encyclopaedia encompassing the most significant texts pertaining to the multifaceted facets of human existence: doctrinal, social, political, and economic. Imam Ali ibn al-Husayn (peace be upon him) encompassed within it all that would enhance the public life of humanity and guide its author towards salvation and the righteous path. The Imam (peace be upon him) also referenced historical accounts from the life of the Greatest Messenger (may God bless him and his family and wish them peace), along with the challenges faced by the Islamic call.

Keywords: The Holy Quran, Sahifa al-Sajjadiyya, Imam Ali ibn al-Husayn, the ascension of existence, the righteous path.

التـعريف بالصـحيفة السـجادية وأهميتـها

المقدمة :

اعتنى الشارع المقدس بالدعاء لأنه احب الاعمال الى الله تعالى في الارض ، فقرر أدعيةً خاصةً لآناء الليل والنهار ولكل يوم من ايام الاسبوع , وللشهور والسنين ، وجعل لكل حالة من حالات الانسان ولكل فعل يريد الإقدام عليه ، فضلاً عن جميع مطالبه الدنيوية والاخروية وظائف من الدعاء والذكر ، ويأتي في مقدمة ذلك اقتران الدعاء بسائر العبادات والطاعات ، ومن طليعة هذه الادعية المباركة ، الصحيفة السجادية المباركة ، للامام علي بن الحسين (عليه السلام) .

أولاً : التعريف بالصحيفة السجادية

والصحيفة السجادية هي كتاب يشتمل على اربعة وخمسين دعاءً ومناجاةً للإمام الرابع من ائمة الهدى علي بن الحسين(عليه السلام) ، وتحظى بمكانة عظيمة عند الشيعة عند توجههم الى الله عز وجل وهي من أهم النصوص واكثرها اعتماداً تأتي بالمرتبة الثالثة من حيث الاهمية بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة لأمير المؤمنين وسيد الموحدين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)[١] .

إن الصحيفة السجادية تحتل الصدارة بين كتب الادعية عند الشيعة الامامية وهي المصدر الاساس الذي لا تنضب مناهله ولا يمل منه طالبه ، وهي المرجع الذي لا يستغني عنه العالم ولا المعلم ولا المتعلم ولا العارف ولا الحكيم ولا الاديب ولا الخطيب ولا العبد الداعي ، فقد جمعت بين دفتيها جميع العلوم والفنون الالهية ، واحتوت على المعارف الحقة ، وهو اول كتاب جمع فيه الدعاء الصادر عن المعصوم (عليه السلام) بهذه السعة والترتيب[٢] .

ان في ظلال هذه الصحيفة المباركة يلتقي مع النهج العرفاني والاخلاقي والتربوي للامام علي بن الحسين (عليه السلام)، المنهج الذي ركز في بناء الذات من الداخل ليصوغ المجتمع الرسالي في الخارج على الصورة المشرقة التي ارادها الله تعالى لعباده، والامام علي بن الحسين (عليه السلام)، يستعين بالدعاء أسلوباً عرفانياً اخلاقيً تربوياً يوثق علاقة الانسان بربه فيركز شخصيته في الاسس التي تكفل له الحصول على الكمال الانساني في اخلاقه وعناصر نموه الروحي وعلى الاستقامة في افعاله وعلاقاته ومواقفه ليكون الانسان الكامل[٣] .

إن الصحيفة المباركة السجادية في تنوع موضوعاتها وتكامل آرائها هي خطة شاملة لصياغة صورة الانسان الكامل القرآني وحركته في الحياة ، حياته الشخصية والجمعية في مسيرة التكامل القرآني من اجل بناء المجتمع الاسلامي القرآني الذي يرتكز على العناصر الثلاثة : المعرفة ، العبودية ، العدالة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : { ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ }[٤] ، وعن عناية الشيعة الامامية بهذه الصحيفة واعتنائهم بها ، انهم شرحوها وترجموها الى غير العربية ودرسوا امورها وكتبوا الحواشي عليها ووضعوا لها الفهارس وطبعوها كثيراً[٥] .

تعد الصحيفة السجادية احدى المأثورات الخالدة لاهل البيت (عليهم السلام) ، وهي مجموعة من الادعية المباركة التي وصلت من ذلك التراث العظيم بسند صحيح وموثوق كما سيأتي ، فضلاً عن القيمة الجمالية في الصحيفة السجادية ، فإنها احتوت على كثير من النصوص والقواعد التي عالجت موضوعات العقيدة الاسلامية وحقوق الانسان والاسرة والمعاملة مع الاخر بإسلوب أدبي مميز كيف لا وهو صادر من بيوت الوحي التي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

أما بلاغة بيانها وبراعة تبيانها ، فعندها تسجد سحرة الكلام وتذعن بالعجز مدارة الاعلام ، وتعترف بان النبوة غير الكهانة ، ولا يستوي الحق والباطل في المكانة ، ومن حام حول سمائها بغاسق فكره الواقب رُمي من رجوم الخذلان بشهاب ثاقب[٦] .

وفي طيات هذه الصحيفة بيَّن الامام (عليه السلام) في ادعيته كثيراً من المعارف ، منها معرفة الله ، معرفة الكون ، معرفة الانسان ، عالم الغيب ، والملائكة والرسل ومكانة الانبياء واهل البيت (عليهم السلام) والامامة والجوانب الاخلاقية والمعرفية والاقتصادية واشارات تاريخية ونِعم الله عز وجل وادب الدعاء وتلاوة القرآن والصلاة وغيرها الكثير .

والصحيفة السجادية ليست ادعية فقط، بل هي مدرسة المبدأ والعقيدة والصبر والتضحية والتسامح والرحمة والثورة على الشر والفساد بشتى انواعه واشكاله ، فهي تدعو الى كل مكرمة وفضيلة ، اما اسلوب الصحيفة فمن الصعب على أي كاتب ان يصفه على حقيقته، او يصف البعد الذي يتركه في نفس القارىء والسامع .

وقد أرسل المرعشي النجفي[٧] نسخة من الصحيفة الى الشيخ الطنطاوي[٨] (ت ١٣٥٨هـ) صاحب التفسير المعروف، فكتب في جواب رسالته : (من الشقاوة (الشقاء) ، إنا الى الآن لم نقف على هذا الاثر القيم الخالد في مواريث النبوة واهل البيت وإني كلما تأملتها رأيتها فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ، ثم سأل : هل شرحها أحد من علماء الاسلام ؟ فكتبت اليه أسامي من شرحها وقدمت لسماحته رياض السالكين للسيد علي خان المدني ، وكتب في جوابه " إني مصمم ومشمر الذيل على أن أكتب شرحاً على هذه الصحيفة العزيزة)[٩] .

والصحيفة السجادية . . . ((زبور آل محمد (صلى الله عليه وآله) كتابٌ لم يعرفه الناس ! وأول ما تبهرك فيه قدرة معماره على بناء العبارة العربية ، فهو أقدر من أيّ بليغٍ تصفه بأنه متمكن من اللغة ، آخذ بناصية مفرداتها وتراكيبها ، فمفردات العربية تدور حول إمامها (عليه السلام) كالنجوم حول قطبها ، تعرض أنفسها على أنامل فكره أفعالاً وأسماءً وحروفاً وصيَغَ تعبير ، طائعةً

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

متواضعةً ، عسى أن يشرفها فيجعلها آجرَّةً في صروحه ، أو لُحمةً في لوحاته ، الكلمة عند الإمام (عليه السلام) موجودٌ حيويٌّ . . . بنفسها ، لأنه ينتقيها من أسفاط اللغة كما ينتقي الخبير جواهره ليصوغها ويصوغ بها ، وبمحيطها ، الذي يضعها فيه فتحييه ويحييها ، وبخيوط ارتباطها التي يشدها بها بالكلمات والحروف ، وبأشعتها التي يمنحها لها ، فتشرق في جدلية خاصة في فقراته ومقطوعاته ، والفكرة عنده . . روحٌ تنبض في الكلمة ، وتنبض بها ، تجيء من أفق أعلى ، غنيٍّ غزير ، ينساب في الروح ، ويلذُّ للعقل ، ويناغي أوتار النفس ، أفقٌ جمالي . . ينحدر منه كلام الإمام (عليه السلام) بأروع من جمال الورود والنسائم ، والملكات والحوريات ، فهو آت من معدن الجمال الأعلى ومنبعه ، جمالٌ تُفيضه روحٌ عُلْوية لا ترى في الوجود إلا جميلاً ! فهذا الوجود عندها له ربٌّ جميل لا يصدر عنه إلا الجميل ، وهي ترى الأشياء بجماله وكماله ، ولا ترى ما يعكر جماله حتى خطايا الإنسان ، وحتى القوانين والمقادير ، روحٌ جمالية . . ترى النصف الفارغ من الكأس جميلاً كالمملوء ، وتتحير في أيهما الأجمل : ما يفقده الإنسان في مرضه من صحته ، أوما يبقى له منها !))[١٠] .

ثانياً : أهمية الصحيفة السجادية

تعدُّ الصحيفة السجادية من اهم الكنوز واعظم الآثار التي انطوت على المعارف والحقائق الاسلامية بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة ، وتعد من الآثار الدعائية المهمة التي يعجز البيان عن اطرائها ، وتعدُّ موسوعةً علميةً ثمينةً ليست على الصعيد الروحي الذي بلغت فيه القمة من حيث براعة التعبير والمضمون فحسب ، بل تطرقت لجوانب عدة – اجتماعية وسياسية واقتصادية ، بفلسفة دعائية عظيمة ، تحتوي هذه الصحيفة على اربعة وخمسين دعاءً ، وتسمى : أخت القرآن ، ومصباح أهل البيت ، وزبور آل محمد ، وانجيل اهل البيت[١١] ، وفيها إعجاز كبير ونسائم الهية ونفحات ربانية ، قال الشاعر :

وصحيفة السجاد في إعجازها كالشمس اذ بزغت فلا تتكتم

وهي التي أضحت زبوراً بيننا بنسيمها وشميمها نتسنم[١٢] .

وتكمن اهميتها ايضاً أنها فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ، وهي من الفصاحة والبلاغة ما يفوق الحد والتصور ، فقد ذكر في ذلك : انها ذكرت عند بليغ في البصرة فقال : خذوا عني حتى املي عليكم واخذ القلم واطرق رأسه فما رفعه حتى مات[١٣].

وتسمى الصحيفة الكاملة وقيل ان السبب الرئيس وراء تسميتها بالصحيفة الكاملة هو وجود نسخة من الصحيفة غير تامة لدى الزيدية[١٤] ، لا تتوفر على اكثر من نصف الصحيفة الموجودة تقريباً ، ومن هنا اطلق عليها الصحيفة الكاملة الموجودة لدى الشيعة الاثني عشرية[١٥]))[١٦] ، ولأهمية تلك الصحيفة فقد كثر الاعتناء بها وشرحها وحواشيها، قال الدكتور حسين علي محفوظ: (وفازت تلك الصحيفة السجادية بإهتمام الافاضل روايةً وحفظاً واسناداً وتفسيراً واستدراكاً ، فقد رواها الالوف ، وبلغت شروحها

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

المئات، وجاوزت ترجماتها العشرات[١٧] ، وعدد من شروحها ثمانية وخمسين شرحاً وخمس عشرة حاشية وثلاث عشرة ترجمة[١٨] ، ومن جملة من شرحها في مختلف الأزمنة والعصور : ابن ادريس الحلي (ت ٥٩٨هـ) ، والمحقق الكركي علي بن عبد العالي (ت٩٤٠ هـ) ، والشيخ عباس البلاغي (ت القرن الحادي عشر) ، والشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبدالصمد العاملي(ت ١٠٣١هـ) ، والشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٥٨هـ) ، والشيخ علي بن جعفر بن جمال الدين الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني (ت ١١٠٤هـ) ، والسيد صدر الدين علي خان المدني (ت ١١١٨هـ) ، والسيد محسن بن احمد الشامي الزيدي (ت ١٢٥١هـ)[١٩] .

وتتجلى أهمية الصحيفة السجادية ، بما تتركه من اثر في المتلقي وكما وصفت بأنها اخت القرآن وزبور آل محمد وانجيل اهل البيت (عليهم السلام) ، فضلاً عما قاله كبار شرَّاحها ، ومن ذلك ما قاله السيد محمد باقر الداماد (ت ١٠٤١هـ) : ((ان في زبور آل محمد عليهم السلام ، رموزاً سماوية ، وألفاظاً الهية ، واساليب وحيانية ، وافانين فرقانية ، ...))[٢٠] ، من هذا القول ندرك ان الصحيفة السجادية لصيقة بالقرآن الكريم ، وتمثل تجلياً من تجلياته المباركة ، ان كانت على مستوى الالفاظ أو على مستوى الافكار والمضامين التي احتوتها .

وقد شبهها محمد بن محمد الدارابي (ت ١٠٨٣هـ) بنهج البلاغة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، فقال : ((فاعلم ان زبور آل محمد – اعني الصحيفة الكاملة السجادية لمولانا قبلة اهل اليقين علي بن الحسين زين العابدين – لما كان مثل كلام معلم الفصحاء ، شمس فلك العلى علي المرتضى ، فوق كلام المخلوق ، ودون كلام الخالق ، ولتناهيها في الفصاحة لا يبلغ الى كنه درجتها الافهام ، بل لا يصل الى معرفة سر تراكيبها ادراك بعض الانام ...))[٢١] ، من هذا تبين الصلة الوثيقة بين الكتب الثلاثة (القرآن الكريم ، نهج البلاغة ، الصحيفة السجادية) ، فالقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه ، ونهج البلاغة والصحيفة السجادية هما كلام امامين خصهما الله بهذه الوظيفة الالهية في ارشاد الناس الى الطريق القويم فهما لا يفترقان عن القرآن الكريم ابداً .

وقال السيد علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ) : ((واعلم ان هذه الصحيفة الشريفة عليها مسحة من العلم الالهي ، وفيها عبقة[٢٢] من الكلام النبوي ، كيف لا ؟ وهي قبس من نور مشكاة الرسالة ، ونفحة من رياض شميم الامامة ...))[٢٣] ، فهي ((مشتملة على حقائق المعرفة الربوبية ، واسرار دقائق الحكمة الالهية ، واثمار حدائق البلاغة والفصاحة البيانية ، ما لا يبلغ الى درجته لا فلسفة الفلاسفة السابقة ، ولا حكمة الحكماء اللاحقة ، ولا فصاحة الفصحاء السالفة ، حتى تجري مجرى التنزيلات السماوية ، وتسري مسرى الصحف اللوحية والعرشية ...))[٢٤] .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

والصحيفة السجادية للإمام زين العابدين وسيد الساجدين (عليه السلام) – تعدُّ من اهم المعادن الالهية ... المشتملة على مضامين فاخرة في شتى المواضيع المختلفة بأسلوب الدعاء التي تهز كل فاجر وعنود لا سيما في ذلك احال الحرج الذي عاش فيه الامام (عليه السلام) ، أي في عصر بني امية عصر الظلم والقتل والتشريد من السلطة فأصبحت تلك الصحيفة سبباً للهداية والارشاد ووسيلة للاتصال بين العبد وربه[٢٥] .

ثالثاً : فصاحة الصحيفة السجادية

ومما يؤكد فصاحة الصحيفة السجادية سيرورتها في امتداد القرآن الكريم ، فكان للقرآن الكريم حضوره في النص الدعائي للامام علي بن الحسين (عليه السلام) ، في مواضع كثيرة سواء على مستوى ذكر الاية او الاقتباس منها ، فقد ضمن الامام في ادعيته كثيراً من الآيات القرآنية بنصوصها ، ومنه قوله (عليه السلام) : ((... حتى اذا بلغ أقصى أثره ، واستوعب حساب عمره ، قبضه الى ما ندبه اليه من موفور ثوابه او محذور عقابه ، { يَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى }[٢٦] ، عدلاً منه تقدست اسماؤه وتظاهرت آلاؤه ، { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }[٢٧] ، فكانوا كما وصف في محكم كتابه ، { إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا }[٢٨] .

ومنها ما كان على مستوى المعارف ، إذ اشتملت على عدد من المعارف القرآنية التي حاول الامام علي بن الحسين (عليه السلام) بثها بأسلوب دعائي ، وقد جسدها بعباراته كيف لا وهو ربيب القرآن الكريم وتلميذه وحامله والعامل به ، محاولاً ترجمته بمصاديق دعائية ، ومما يتجلى فيه ذلك دعاؤه الاول في تحميد الله وتمجيده وبيان أحقية الله تبارك وتعالى بالعبادة ، وهي الافكار انفسها التي حملها القرآن الكريم للناس ، ومنها ما ورد في فاتحة الكتاب وسورة التوحيد ونحوها من الايات التي يصعب حصرها ، وقد مازج الامام علي بن الحسين (عليه السلام) بين عباراته الدعائية والآيات القرآنية فجعلها تنساب على القارىء وبين يديه كأنها لوحة نصية واحدة[٢٩] ، ومنه قوله : ((والحمد لله ... حَمْداً نُعَمَّرُ بِه فِيمَنْ حَمِدَه مِنْ خَلْقِه ، ونَسْبِقُ بِه مَنْ سَبَقَ إِلَى رِضَاه وعَفْوِه حَمْداً يُضِيءُ لَنَا بِه ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ ، ويُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِه سَبِيلَ الْمَبْعَثِ ، ويُشَرِّفُ بِه مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الأَشْهَادِ { ولتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ }[٣٠] ، { يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً ولا هُمْ يُنْصَرُونَ }[٣١] ، حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُه الْمُقَرَّبُونَ ، حَمْداً تَقَرُّ بِه عُيُونُنَا إِذَا بَرِقَتِ الأَبْصَارُ ، وتَبْيَضُّ بِه وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الأَبْشَارُ حَمْداً نُعْتَقُ بِه مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللَّه إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ اللَّه ، حَمْداً نُزَاحِمُ بِه مَلَائِكَتَه الْمُقَرَّبِينَ...}[٣٢] ، فقد اشتملت هذه العبارات على نصوص قرآنية ، وتمثل في البقية منها اسلوب القرآن بسبكه الرائع واسلوبه الهادر ، و دقة الاختيار ، حتى لا تكاد تميز بينها وبين القرآن الكريم الذي

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

كانت ترجماناً له ، وكان للقرآن اثره في الصحيفة السجادية على مستوى اختيار الالفاظ والاساليب ذات الدلالات العميقة والمكثفة[٣٣] .

رابعاً : الاقوال التي قيلت في الصحيفة السجادية

من الاقوال التي قيلت فيها : ((إن الصحيفة السجادية تعبَّر عن عمل اجتماعي عظيم ، كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الامام ، زيادةً على أنها تراثٌ ربانيٌ فريدٌ يظل على مدى الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة اخلاق وتهذيب وتظل الانسانية بحاجة الى هذا التراث المحمدي العلوي وتزداد حاجة كلما ازداد الشيطان إغراءً والدنيا فتنةً))[٣٤].

وقيل : قيمة ادعية الصحيفة السجادية – التي نريد لجامعاتنا ان تدرسها دراسةً جيدةً وعميقةً لتعرف قيمة الدعاء في الاسلام ، ان الامام (عليه السلام) يحشد كل القضايا التي يعيش فيها الانسان في لغته مع نفسه ومع ربه ومع الناس من حوله[٣٥].

وقال مرجع الشيعة في العالم السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) : ((الصحيفة السجادية تتضمن ادعية بليغة تستمد مضامينها من القرآن الكريم وفيها تعليم لما ينبغي ان يكون عليه الانسان من توجهات وهواجس ورؤى وطموح ، وبيان كيفية محاسبته لنفسه ونقده لها ومكاشفتها بخباياها واسرارها ، ولاسيما دعاء مكارم الاخلاق))[٣٦] .

إن أدعية الامام علي بن الحسين (عليه السلام) (الصحيفة السجادية) ، برامج ثقافية للمعارف ، والاخلاق ، وسلسلة رفيعة في الحكم والنصائح ، ومعالم فريدة في التوحيد والعرفان ، ومجموعة كبيرة من المواعظ والآداب ، لم يحو كتاب بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة وكتب الحديث ما حوته من منابع الخير والرشاد ، والحديث عنها مهما سما فهو أقلُّ منها ، فما عسى ان يقول قائل في زبور آل محمد ، ومنهل التوحيد ، ونهج الفصاحة ، ومنتهى البلاغة، فهي سلَّمٌ للرقي الى المجد ، ومدرجٌ للعزِّ ، ومُرتقى للكمال ، ومنهجٌ قويمٌ للحياة العامة ، ونيل السعادة ، ونعيم الآخرة[٣٧] .

فبعد واقعة الطف المحزنة ، وتملك بني أمية ناصية أمر الأمة الإسلامية ، أوغلوا في الاستبداد ، وولغوا في الدماء واستهتروا في تعاليم الدين ، بقي الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) جليس داره محزوناً ثاكلاً ، وجليس بيته لا يقربه أحد ولا يستطيع أن يفضي إلى الناس بما يجب عليهم وما ينبغي لهم . فاضطر أن يتخذ من أسلوب الدعاء ، أحد الطرق التعليمية لتهذيب النفوس ، ذريعةً لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وطريقة آل البيت ، ولتلقين الناس روحية الدين والزهد ، بعد ان رأى العبادة بين الناس تؤدَّى روتينياً ، من دون الاخلاص المطلوب والنية الخالصة المجردة ، أراد الامام (عليه السلام) تهذيبها من الشوائب ،

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

والابتعاد بها عن النقص ، والاصحار بجوهرها الى عبادة العارفين بالله ، المدركين لكمال التوجه[٣٨] ، من هنا قال الامام مؤكداً تلك الحقيقة قال : ((إني أكره أن أعبد الله لا غرض لي الا ثوابه فأكون كالعبد الطامع المطيع ، إن طمع عمل وإلا لم يعمل ، وأكره أن أعبده لخوف عذابه ، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل ، قيل : فلم تعبده ؟ قال : لما هو أهله بأياديه وإنعامه))[٣٩] ، فكان بحق سيد العبَّاد لأهل زمانه من خلال ما عملته صحيفته الغراء على تهذيب النفوس والأخلاق ، وهذه طريقة مبتكرة له في التلقين لا تحوم حولها شبهة المطاردين له ، ولا تقوم بها عليه الحجة لهم ، فلذلك أكثر من هذه الأدعية البليغة (الصحيفة السجادية) ، وجاءت في أسلوبها ومراميها في أعلى أساليب الأدب العربي ، وفي أسمى مرامي الدين الحنيف ، وأدق أسرار التوحيد والنبوة ، وأصح طريقة لتعليم الأخلاق المحمدية والآداب الإسلامية . وكانت في مختلف الموضوعات التربوية الدينية، فهي تعليم للدين والأخلاق في أسلوب الدعاء ، أو دعاء في أسلوب تعليم للدين والأخلاق ، وهي بحق بعد القرآن ونهج البلاغة من أعلى أساليب البيان العربي وأرقى المناهل الفلسفية في الإلهيات والأخلاقيات : فمنها ما يعلمك كيف تمجد الله وتقدسه وتحمده وتشكره وتتوب إليه ، ومنها ما يعلمك كيف تناجيه وتخلو به بسرك وتنقطع إليه ، ومنها ما يبسط لك معنى الصلاة على نبيه ورسله وصفوته من خلقه وكيفيتها ، ومنها ما يفهمك ما ينبغي أن تبر به والديك ، ومنها ما يشرح لك حقوق الوالد على ولده أو حقوق الولد على والده أو حقوق الجيران أو حقوق الأرحام أو حقوق المسلمين عامة أو حقوق الفقراء على الأغنياء وبالعكس ، ومنها ينبهك على ما يجب إزاء الديون للناس عليك وما ينبغي أن تعمله في الشؤون الاقتصادية والمالية ، وما ينبغي أن تعامل به أقرانك وأصدقاءك والناس كافة ومن تستعملهم في مصالحك ، ومنها ما يجمع لك بين جميع مكارم الأخلاق ويصلح أن يكون منهاجا كاملا لعلم الأخلاق . ومنها ما يعلمك كيف تصبر على المكاره والحوادث وكيف تلاقي حالات المرض والصحة ، ومنها ما يشرح لك واجبات الجيوش الإسلامية وواجبات الناس معهم . . إلى غير ذلك مما تقتضيه الأخلاق المحمدية والشريعة الإلهية[٤٠] .

إن هذه الصحيفة المباركة إمام للكتب الإسلامية تالٍ للقرآن الكريم ، وإن كلاً من العقل والنقل مستقل بشهادة صدوره عن قائله الإمام الرابع (عليه السلام) ، ولا سبيل بوجه التردد في أمره ، إذ لو أمكن لأحد التوقف لمثله لكان له ان يتوقف في سائر المسائل التاريخية والضروريات الدينية التي لا يهتدي العقل الى أسرارها ... فدونك كتاباً فيما دونه تشد الرحال ، وتقف عنده فحول الرجال،

بنفسي كتاب حاز كل فضيلةٍ وحاز لتكميل البرية ضامناً[٤١] .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

الهوامش :

١- الشيرازي ، محمد ، لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية ، ١ / ٦ .

٢- الشيرازي ، محمد ، لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية ، ١ / ٧ .

٣- القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢ -٣ .

٤- الشيرازي ، محمد ، لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية ، ١ / ٨ .

٥- علي خان المدني ، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، ١ / ٥٢ .

٦- السيستاني ، علي الحسيني ، نصائح السيد السيستاني للشباب المؤمن ، ص ٩ .

٧- شهاب الدين بن السيد محمود شمس الدين ، من علماء النجف الاشرف ، ولد في ٢٠ صفر سنة ١٣١٥ هـ ، يتصل نسبه الشريف بـ٣٣ واسطة الى الامام زين العابدين (عليه السلام) ، اشتهر بالورع والزهد والتقوى ، تلقى دروسه في النجف الاشرف ، ويعد من المدرسين العظام بحوزة قم الكبرى ، طبع اول رسالة عملية (ذخيرة المعاد) سنة ١٣٧٠ هـ ، صنَّف وألّف أكثر من مائة كتاب ورسالة في شتى العلوم والفنون أهمها : تعليقاته على احقاق الحق ، واعظم مشاريعه مكتبته العامة في قم المقدسة ، دُفن بجوار المكتبة ، توفي في ٧ صفر ١٤١١ هـ وعمره ٩٦ سنة ، ينظر : العلوي ، عادل ، قبسات من حياة سيدنا الاستاذ آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ، ص ١٧ .

٨- جوهري بن طنطاوي ، أزهري ومدرس ، عالم مصري معروف ، مفتي الاسكندرية ، صاحب التفسير المعروف (الجواهر في تفسير القرآن) ، تفسير كبير يقع في ٢٦ مجلداً ، حشَّد فيه كل ما أعجب به من علوم الغرب ، وقال : ان هدفه تفهيم المسلمين العلوم الكونية ، وحثِّهم على الاقبال عليها ، توفي سنة (١٣٥٨هـ . ١٩٤٠م) ، ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ٣ / ٢٣٠ ، حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٦ / ١١٧ ، الكوراني ، علي ، الى طالب العلم ، ص ١١٦ .

٩- حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١٦ / ١١٧ ، السبحاني ، جعفر ، الائمة الاثني عشر ، ص ٩٦ .

١٠- الكوراني ، علي ، جواهر التاريخ ، ٣ / ٤٧٦ – ٤٧٧ .

١١- ابن طاووس ، فتح الابواب بين ذوي الالباب ، ص ٧٦ .

١٢- البابلي ، حافظيان ، رسائل في دراية الحديث ، ٢ / ٤٥٥ .

١٣- مناقب آل ابي طالب ، ٣ / ٢٧٩ ، المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٦ / ٣٧ .

١٤- الزيدية : فرقة من الشيعة ، نُسبت إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، حفيد الامام الحسين سبط الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ١١٥ ،

١٥- الاثني عشرية : هم الشيعة الإمامية القائلون بوجود النص على اثني عشر اماماً بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، نص عليهم هو نفسه ، وهم احد المذاهب الاسلامية والفقهية ترجع بالانتماء الفكري والعقدي الى ائمة اهل البيت (عليهم السلام) ، قائلين بولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) نصاً ووصيةً ، واعتقدوا بأن الامامة لا تخرج منه ومن ولده وان خرجت فبظلم من غيره او بتقية من عنده ، ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ١٤٦ ، التستري ، احقاق الحق ، ٣١ / ٣٨٨ ، جعفر كاشف الغطاء ، كشف الغطاء ، ١ / ٤ ، العاملي ، اعيان الشيعة ، ١ / ٤٠ .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ - المجلد ٥٠ - حزيران لسنة ٢٠٢٥

١٦- اغا بزرك الطهراني ، الذريعة في تصانيف الشيعة ، ص ١٥-١٧.

١٧- الصحيفة السجادية ، ص ٦٨ .

١٨- محفوظ ، حسين علي ، الصحيفة السجادية ، ص ٧٠ .

١٩- ابن طاووس ، فتح الابواب بين ذوي الالباب ، ص ٧٦ .

٢٠- شرح الصحيفة الكاملة السجادية ، ص ٤٣ .

٢١- رياض العارفين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، ص ١٢-١٣ .

٢٢- عبقة : عبق به الطيب عبقاً ، ظهرت ريحه بثوبه او بدنه فهو عبق ، ولا يكون العبق الا الرائحة الطيبة الزكية ، ينظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٥٣٣ .

٢٣- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، ١ / ٥١ .

٢٤- الشيرازي ، محمد ، لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية ، ١ / ٤

٢٥- علي خان المدني ، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، ١ / ٣ .

٢٦- القرآن الكريم ، سورة النجم ، الاية ٣١ .

٢٧- القرآن الكريم ، سورة الانبياء ، الاية ، ٢٣ .

٢٨- القرآن الكريم ، سورة الفرقان ، الاية ٤٤ .

٢٩- إبراهيم ، حميد يوسف ، القيمة اللغوية للصحيفة السجادية ، ص ١٧٣ .

٣٠- القرآن الكريم ، سورة الجاثية ، الاية ٢٢ .

٣١- القرآن الكريم ، سورة الدخان ، الاية ٤٣ .

٣٢- الامام علي بن الحسين (عليه السلام) ، الصحيفة السجادية الكاملة ، الدعاء (١) ص ٣٠ .

٣٣- إبراهيم ، حميد يوسف ، القيمة اللغوية للصحيفة السجادية ، ص ١٧٤ .

٣٤- الصدر ، محمد باقر ، الصحيفة السجادية الكاملة ، ص ١٧ .

٣٥- علي خان المدني ، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، ١ / ١٦

٣٦- نصائح للشباب المؤمن ، ص ١٠ .

٣٧- دخيل ، علي محمد علي ، أئمتنا (سيرة الائمة الاثني عشر) ، ١ / ٣١٠ .

٣٨- الصغير ، محمد حسين ، الامام زين العابدين (عليه السلام) القائد ، الداعية ، الانسان ، ص ٢٣.

٣٩- المجلسي ، مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول ، ٨ / ١٠١ .

٤٠- المظفر ، محمد رضا ، عقائد الامامية ، ص ٩٥ .

٤١- الرضوي ، محمد الرضي ، كذبوا على الشيعة ، ص ١١٢ .

المصادر والمراجع :

١ – القرآن الكريم

٢ – الامام علي بن الحسين (عليه السلام) (ت ٩٤ هـ) ، الصحيفة السجادية الكاملة ، ط ١ ، (طهران – ١٤١٨هـ) .

٣ – ابن طاووس ، ابو القاسم علي بن موسى (ت ٦٦٤ هـ) ، فتح الابواب بين ذوي الالباب ، ط ١ ، تحقيق : حامد الخفاف ، مؤسسة آل البيت (ع) ، (بيروت – ١٤٠٩ هـ) .

٤ – الصغير ، محمد حسين علي ، الامام زين العابدين (عليه السلام) ، القائد ، الداعية ، الانسان ، ط ١ ، قسم الشؤون الفكرية – العتبة العلوية المقدسة ، (لبنان – ١٤٣٣هـ) .

٥ – الصدر ، محمد باقر ، الصحيفة السجادية الكاملة ، ط ١ ، (العتبة الكاظمية المقدسة – ١٤٣٣هـ) .

٦ – ابن شهراشوب ، ابو عبدالله محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) ، مناقب آل ابي طالب ، تحقيق : لجنة من اساتذة النجف ، المطبعة الحيدرية ، (النجف ١٩٥٦ م) .

٧ – الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم بن احمد ، (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ، الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ،(بيروت –د. ت) .

٨ – المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١هـ ١٦٩٩م) ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، ط٢، مؤسسة الوفاء ، (بيروت – ١٩٨٣م).

٩ – مرآة العقول في شرح اخبار الرسول ، تحقيق : مرتضى العسكري ، ط٢، دار الكتب الاسلامية .

١٠ – المدني ، علي خان (١١٢٠هـ / ١٧٠٨م) ،رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، تحقيق : حسن الحسيني الاميني ، مؤسسة النشر الاسلامي ، (د .م – ١٤١٥م).

١١ – الامين ، محسن (ت ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م) ، اعيان الشيعة ، حققه واخرجه : حسن الامين ، دار التعارف للمطبوعات ، (بيروت – د . ت) .

١٢ – حبيب الله الخوئي ، ميرزا حبيب الله الهاشمي (ت ١٣٢٤هـ / ١٨٠٩م) ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تحقيق : سيد ابراهيم الميجاني ، ط٤، (طهران – ١٢٦٠ش) .

١٣ – الزركلي ، خير الدين (ت ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م)، الاعلام ، ط٥ ، (بيروت – ١٩٨٠م) .

١٤ – السيستاني ، السيد علي الحسيني ، نصائح للشباب المسلم ، (النجف الاشرف ، ٢٠١٩م) .

١٥ – علي محمد ، علي دخيل ، ائمتنا ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط١، (النجف ، ١٤٢٧هـ).

١٦ – الكوراني ، الشيخ علي ، جواهر التاريخ ، نشر : دار الهدى ، (د . م – ١٤٢٦هـ).

١٧ – الفيومي ، احمد بن محمد المقري (ت ٧٧٠ هـ) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، دار الفكر .

١٨ – كاشف الغطاء ، الشيخ جعفر ، (ت ١٢٢٨ هـ) ، كشف الغطاء ، ط ١ ، تحقيق : عباس التبريزيان ، (قم – ١٤٢٢ هـ).

١٩ – حافظيان ، ابو الفضل البابلي ، رسائل في دراية الحديث ، ط ١ ، دار الحديث (قم ١٤٢٣هـ) .

٢٠ – المظفر ، محمد رضا ، عقائد الامامية ، تحقيق : حامد حنفي داود ، (قم – ايران) .

٢١ – الرضوي ، محمد الرضي ، كذبوا على الشيعة .

٢٢ – السبحاني ، جعفر ، السيرة المحمدية ، ط ٦ ، (قم – ١٤٣٤ هـ) .

٢٣ – الشيرازي ، محمد باقر (ت ١٢٤٠ هـ) ، لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية ، تحقيق : مجيد هادي زاده ، (اصفهان – ١٤٢٥هـ) .